سورة التين والزيتون

عمار سعد الله رضا

Sura the figs and Olives
Literary Study
The summery Research

The Research shows what is meant by figs and olives at the paraphrasing scientists and what they said to the best saying which was said in the sura (figs and olives) and the Research added what is meant by the (best valuation) also a gesture of choosing god the words like (religion, judgement, the best judge and just).

بسم الله الرحمن الرحيم

4 3 2 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " ! M

L I H G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5

سورة الزيتون آية (١-٨).

بدأت السورة بالقسم بالتين والزيتون، وهي ظاهرة أسلوبية من البيان المعجز، ومن الملاحظ أن ظاهرة القسم بالواو جاءت في مستهل السور مع: الضحى، والليل، والفجر، والعصر، والتين، والنجم، والعاديات، والنازعات، والذاريات، والصافات، والطارق، والبروج، والشمس، والطور، وكلها سور مكية ولم تأت سورة مدنية مبدوءة بهذه الواو، وقد ذهب المفسرون إلى تعظيم المقسم به، فإذا كان القصد في إعظامها، فما وجه إيثارها بهذا الاستهلال، وليس في القرآن كله سور مفتتحة بالواو مع أسم من أسماء الله الحسنى، ولا ريب أن عظمته تعالى تتضاءل دونها عظمة مخلوقاته .

إن استهلال السور بالقسم بالواو يفيد إلى أن الواو هنا قد خرجت عن أصل معناها اللغوي في القسم والتعظيم إلى معنى بلاغي هو اللفت بإثارة بالغة إلى حسّيات مدركة لا تحتمل أن تكون موضع جدل أو مما رأة، توطئة إيضاحية لبيان محتويات يمارى فيها، أو تقرير غيبيات لا تقع نطاق الحسيات والمدركات، فقوة اللفت في مثل هذا الأسلوب تأتي من العدول بالواو عن موضعها المألوف في درج الكلام، فتثير أقصى التنبيه[١]، كما سيأتي فيما بعد .

وأختلف أهل التأويل في قوله تعالى (والتين والزيتون) فقيل المراد بالتين: مسجد دمشق، وقيل الجبل الذي عندها، وقيل هو مسجد أصحاب الكهف، وقيل إنه مسجد نوح الذي هو على الجودي، وقال مجاهد: هو تينكم هذا، وقيل هو إشارة إلى شجرة التين التي راح آدم وزوجته يخصفان من ورقها على سوآتهما في الجنة وروي أنه أهدي لرسول الله طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه (كلوا، فلو قلت أن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه، لأن فاكهة الجنة بلا عجم، فكلوها، فأنها تقطع البواسير وتنفع النقرس)

وقيل في الزيتون: إنه إشارة إلى طور زيت في بيت المقدس، وقيل هو إشارة إلى بيت المقدس نفسه وقيل هو إشارة إلى غصن الزيتون الذي عادت به الحمامة التي أطلقها نوح من السفينة .

---

(١) الأعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، الدكتورة عائشة عبد الرحمن ص٢٢٦ – ٢٣٣.

وقيل: بل التين والزيتون هما هذان الثمران اللذان نعرفهما بحقيقتهما وليس هناك من شيء وراءهما، وقيل هما رمز لمنبتهما من الأرض .... إلى آخر من هذه الأقوال والتي لا يخلو معظمها من تكلف ولا داعي لسردها هنا[١] وقد رجح عدد من المفسرين أن يكون القصد من التين والزيتون هما الشجرتان المعروفتان وذكروا لاختيار هذين الشجرتين للقسم بهما أسباباً عدة . فقد ذكروا أنه تعالى أقسم بنوعين من الشجر نوع ثمره ليس فيه عجم ونوع فيه عجم، وأنه ورد في الأثر أن التين من شجر الجنة ، ورجح آخرون أنهما اسما جبلين، وتأويلهما بالجبلين أولى للمناسبة بينهما وبين ما ذكر بعدهما وهو جبل الطور[٢] .

ولعل بدء السورة بالقسم بالتين والزيتون الذي ذكر أن له أصلاً في الجنة له علاقة بعدد آيات هذه السورة فإن عدد آياتها ثمانية وهن بعدد أبواب الجنة وقد ورد في القرآن الكريم شيئاً من أنواع هذه العلاقات فقد تكرر مثلاً قوله تعالى M z { | } L (الرحمن:١٣)

في سورة الرحمن عند الكلام في وصف الجنة ثماني مرات بعدد أبواب الجنة وتكرر في الوعيد سبع مرات بعد أبواب جهنم إبتداءاً من قوله تعالى M q r s t L (الرحمن: ٣١) كما ورد كذلك في سورة القدر التي تكونت من ثلاثين كلمة بعدد أيام رمضان وكان تسلسل كلمة (هي) في قوله تعالى M > ? @ A B L (القدر:٥)

هو السابع والعشرون وهي إشارة إلى أن ليلة القدر في السابع والعشرين وهذا ما ذهب إليه إبن عباس [٣]

فالتين والزيتون وطور سنين والبلد الأمين ، هي محال ثلاثة بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلاً من أولي العزم وأصحاب الشرائع الكبار فالأول محله التين والزيتون وهو بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى أبن مريم

والثاني: طور سنين وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران .

والثالث: مكة البلد الأمين الذي من دخله كان آمناً وهو الذي أرسل فيه محمد[٤]

---

(١) تفسير الكشاف ، الزمخشري ، ص ١٢١١ ، تفسير القرآن العظيم ، أبن كثير ، ٨ / ٢٧٢ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٢٨ / ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، صفوة البيان لمعاني القرآن ، الشيخ حسنين محمد مخلوف ، ص ٨١٣ .

(٢) المعاني الثانية في الأسلوب القرآني ، د. فتحي احمد عامر ، ص٨٠ .

(٣) التعبير القرآني ، الدكتور فاضل صالح السامرائي ص٣٣٨.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن الكريم ، السيد محمود الآلوسي ، ٤٠٦/٩.

وفي ذلك موافقة لما جاء في التوراة (سفر التثنية ، الإصحاح ٣٣) ونصه: ((جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير، وأستعلن من جبال فاران ومعه جماعة من الصالحين) ومجيئه تعالى من سيناء أنزال التوراة على موسى وتكليمه إياه . وإشراقه من ساعير وهي جبال الروم من آدوم . أرساله عيسى، وأستعلانه من جبال فاران بعثه محمد منها، وفاران وهي مكة بدليل التوراة نفسها، فقد جاء فيها أن الله أسكن هاجر وأبنها إسماعيل فاران (سفر التكوين، الإصحاح ٢١))[١] وترقى في هذا القسم من الفاضل إلى الأفضل، وقد بدأ بالتين فالزيتون، والزيتون أشرف وأفضل من التين فقد شهد الله له إنه شجرة مباركة بقوله M ® ¯ ° ± ² L (النور: من الآية٣٥) وهي فاكهة من وجه وإدام من وجهه وزيتها يستعمل في إنارة المصابيح والسرُج .

ثم أقسم بطور سنين وهو أفضل مما ذكر قبله، فإنه الجبل الذي كلم الرب عليه موسى وناجاه، ثم إننا نرى كيف وضع الله تعالى طور سنين بجوار الزيتون لا بجوار التين فقد ورد ذكر الزيتون بجوار الطور في موطن آخر من التنزيل العزيز: M > ? @ A B C D E F L (المؤمنون:٢٠)

وهذه الشجرة هي شجرة الزيتون بإجماع المفسرين . قال الواحدي (والمفسرون كلهم يقولون إن المراد بهذه الشجرة شجرة الزيتون) ثم أقسم بالبلد الأمين وهو مكة المكرمة مكان مولد رسول الله ومبعثه ومكان البيت الذي هو هدى للعالمين وهو أفضل البقاع عند الله وأحبها إليه كما جاء في الحديث الشريف، وقد وصف الله تعالى هذا البلد بصفة الأمين وهي صفة اختيرت هنا اختياراً مقصوداً لا يسدُ مسدَها وصف آخر، فالأمين وصف يتحمل أن يكون من الأمانة، كما يتحمل أن يكون من الأمن وكلا المعنيين مراد، فمن حيث الأمانة وصف بالأمين لأنه مكان أداء الأمانة وهي الرسالة والأمانة ينبغي أن تؤدى في مكان أمين فالرسالة أمانة نزل بها الروح الأمين وهو جبريل وأداها للصادق الأمين محمد في البلد الأمين مكة ، فأنظر كيف اختير الوصف هنا أحسن اختيار وأنسبه ، فالأمانة حملها رسول موصوف بالأمانة فأداها رسول موصوف بالأمانة في بلد موصوف بالأمانة ، والأمين (فعيل) أما بمعنى (فاعل) أي آمن وهذا من باب (التعلق الاشتقاقي) أي استعمال صيغة مكان أخرى كما في قوله تعالى M ¥ ¦ L (الاسراء: من الآية٤٥) أي سائراً ، فأستعمل صيغة أمين للمبالغة في آمنه قال الآلوسي:(وأمانته أن يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه)[٢] وأما بمعنى (مفعول) أي المأمون من (آمنه) أي:لم يخفه ونسبته إلى البلد مجازية،

---

(١) تفسير سور المفصل من القرآن الكريم ، السيد عبد الله كنون ، ص٣٨٤

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن الكريم ، السيد محمود الآلوسي ، ٩/ ٤٠٧ .

والمأمون حقيقة في الناس: أي لا تخاف غوائلهم فيه[١] .ونرى كذلك أن الله تعالى قد اختار لفظ (الأمين) على (الآمن) الذي ورد في عدة مواطن من القرآن الكريم في قوله تعالى M **{ z y x w** L(القصص: من الآية٥٧) وقوله M **R Q P O N M L** L **U T S** L(العنكبوت: من الآية٦٧)، وذلك لأن الله تعالى باختياره لفظ (الأمين) جمع معنين الأمن والأمانة، وجمع معنى اسم الفاعل وأسم المفعول، وجمع الحقيقة والمجاز، فهو أمين وآمن ومأمون، وهذه المعاني كلها مطلوبة .

فأنت ترى أنه تدرج من التين إلى الزيتون إلى طور سينين إلى بلد الله الأمين . فختم بموطن الرسالة الخاتمة أشرف الرسالات وهذا ما أراد أن يلفت إليه أبتداءاً باستعمال القسم بالواو والذي تكلمنا عليه فيما سبق ثم جاء بعد ذلك جواب القسم: M**+ , - . / 0** L (التين: ٤) وقد جاء متناسباً مع المقسم به تناسباً لطيفاً ولاءمه ملاءمة بديعة .فإنه أقسم بالرسالات من بداية الإنسان ونهايته ولما كان الناس في إجابة الرسل في يقين منهم من أجاب ومنهم من أبى، ذكر حال الفريقين أبتداءاً وهو الخلق في أحسن تقويم والتكريم على سائر المخلوقات وتتجلى صورة هذا التكريم في:

١- خلقه: وهو القوام المتناسق في أحسن تقويم ويتجلى ذلك في انتصاب القامة، والجمجمة، واليدين، و تركيب ألأصابع، والرجلين، والوجه ....)

٢- خُلقه: هو الفطرة التي فطر الله الإنسان عليها بمعنى الاستعداد للرقي والكمالات الروحية والخلقية، لديه الاستعداد للتسامي ليكون في أعلى عليين ولديه الاستعداد ليكون في أسفل السافلين من دركات الانحطاط النفسي الخلقي فيكون أخبث الموجودات[٢] .

قال السيوطي في قوله تعالى M**+ , - . / 0** L (التين:٤) : استدل به أصحابنا [يعنى الفقهاء والشافعية] على أن من قال لزوجته إن لم تكوني أحسن من القمر فأنت طالق لا تطلق لأن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم[٣] فالعناية الإلهية في مجال الإنسان لا يحيط بها عدّ ولا تدخل تحت الحصر فإن الشكل الظاهري والجمال والتناسق في أعضائه لا يضاهيه جمال[٤] .

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن الكريم ، السيد محمود الآلوسي نفسه ، ٩/ ٤٠٧ .

(٢) مباحث في أعجاز القرآن ، د. مصطفى مسلم ، ص١١

(٣) الأكليل في استنباط التنزيل ، جلال الدين السيوطي الشافعي ، ص٢٢٥ .

(٤) مباحث في التفسير الموضوعي ، د. مصطفى مسلم ، ص١٣٧ .

ثم إننا نرى من ناحية أخرى في قوله تعالى﴿ + , - . / 0 ﴾ إن الله تعالى قد أسند هنا الخلق لنفسه ولم يبنه للمجهول ، وذلك إنه في موطن بيان عظيم قدرته وحُسن فعله وبديع صنعه فأسند ذلك إلى نفسه وهذا في القرآن خط واضح .فإنه في مثل هذا المقام وفي مقام النعمة والتفضيل يسند الأمر إلى نفسه قال تعالى : ﴿ U V W X Y Z ﴾(لأعراف:١٨١)

وقال ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , ﴾(يّـس:٧١) فقد أسند الخلق في مقام النعمة والتفضل إلى ذاته أما في مقام بيان نقص الإنسان وضعفه فإنه يبني الفعل للمجهول كما في قوله تعالى ﴿ 5 6 7 ﴾(النساء:من الآية٢٨)، وقوله ﴿ 3 4 5 6 ﴾(الأنبياء: من الآية٣٧) وقوله ﴿ K L M N O P Q R S T U V ﴾ ﴿ W X ﴾(المعارج:١٩ - ٢١) وإنه لما كانت الرسالات إنما هي منهج للإنسان وشريعة له، كان الجواب يتعلق بالإنسان طبيعة ومنهجاً ، فذكر طبيعة الإنسان في قوله ﴿ + , - . / 0 ﴾(التين:٤)

وذكر المنهج في قوله ﴿ 7 8 9 : ; ﴾(التين: من الآية٦)وفي هذه إشارة إلى إن المنهج لابد أن يكون متلائماً مع الطبيعة البشرية غير مناقض لها وإلا فشل .فكان الجواب أوفى جواب وأكمله وأنسب شيء لما قبله وما بعده[١] هذا من ناحية، من ناحية أخرى فقد اسند الخلق إلى نفسه لأن المقام مقام بيان منهج للإنسان ، فأراد أن يبين إن وضع المنهج للإنسان هو خالق الإنسان ولا أحد غيره أعلم بما يصلح له وما هو أنسب له ، ولو بني الفعل للمجهول لم يفهم ذلك صراحة .فواضح هنا إن إسناد الخلق إلى ذات الله العليا أنسب شيء في هذا المقام ، وقد يسأل سائل : ولما أسند الرد أسفل السافلين إلى نفسه فقال : ﴿ 2 3 4 5 ﴾(التين:٥) وهذا ليس مقام تفضيل ولا بيان نعمة ؟ فالجواب : إن هذا الإسناد أنسب شيء هاهنا ولا يليق غيره وذلك إنه أراد أن يذكر أن بيده البداية والنهاية ، وإنه قادر أولاً وأخيراً لا معقب لحكمه يفعل ما يشاء في البداية والختام ، وهذا لا يكون إلا بإسناد الأمر إلى ذاته العلية . ألا ترى لو إن الفعل بني للمجهول فقال ثم رد أسفل السافلين لكان يفهم ذاك إن هناك راداً غيره يفسد خلقته ويهدم ما بناه[٢] وقال ﴿ 2 3 4 5 ﴾(التين:٥) ، فجاء بـــ (ثم) التي تفيد الترتيب والتراخي ، والتراخي هنا تراخي زماني وتراخي رُتبي ، أما

---

(١) التعبير القرآني ، ص٣٤١ .

(٢) نفسه ، ص٣٤٢ .

الزماني لأن كونه أسفل السافلين لا يعقب خلقه مباشرة بل يتراخة عنه في الزمن وأما ألرتبي فهو تراخي رتبته في المنزلة بعد أن كان أحسن تقويم فتتراخه رتبته فيكون في أسفل سافلين وهو إما أرذل العمر والهرم وضعف القوة الظاهرة والباطنة وذهول العقل حتى يصير لا يعلم شيئاً أو هو أسفل الأماكن السافلة وهي جهنم أو الدرك الأسفل من النار M 7 8 9 : ; < = > ? L (التين:٦) والاستثناء هنا فيه قولان

الأول: استثناء منقطع لأن المؤمنين غير أولئك المردودين إذا كان معنى (أسفل السافلين) وهو أرذل العمر ، والتقدير : رددناه إلى الهرم والخرف حتى صار لا يقدر على عبادة الله فلا يكتب له شياً من العمل الصالح إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات في شبيبتهم، فأنه يكتب لهم مثلما كانوا يعملون ولهم بذلك أجر غير ممنون ، فأختلف الجنس وجاء المعنى على (لكن) والحكم بخلاف النقيض .

الثاني: استثناء متصل ، في (رددناه) لأنه بمعنى الجمع أي العموم إذا كان معنى (أسفل السافلين) هو النار[١]

وركز آخرون على الخصائص الروحية ، قال صاحب الظلال: (والتركيز في هذا المقام على خصائصه الروحية فهي التي تنتكس إلى أسفل سافلين حين ينحرف عن الفطرة ويحيد عن الإيمان المستقيم معها فهو مهيأً لآن يبلغ من الرفعة مدى يفوق مقام الملائكة المقربين ، كما تشهد بذلك قصة المعراج حين وقف جبريل عند مقام وأرتفع محمد بن عبد الله – الإنسان – إلى المقام الأسنى ، بينما هذا ألإنسان مهيأ حين ينتكس لأن يهوي إلى الدرك الذي لا يبلغ إليه مخلوق قط M 2 3 4 5 6 L حيث تصبح البهائم أرفع وأقوم لأستقامتها على فطرتها[٢] ...

والآية تفيد أيضاً أن حياة غير المؤمن نكد وغم وقلق وعدم راحة نفسية وهذا ما نراه عند كثير من العصاة الذين يملكون متاع الدنيا ولكنهم مع ذلك لا يشعرون بالراحة والطمأنينة وقد يدفع هذا كثير منهم إلى الإنتحار في نهاية المطاف ، قال تعالى M É È Ç Æ Å Ð Ï Î Í Ì Ë Ê L (طـــه:١٢٤) فحياة هؤلاء هابطة سافلة خسروا الدنيا والآخرة .

ثم لنعود مرة أخرى إلى الإستثناء في قوله تعالى M 7 8 9 : ; L فأنه تعالى استثنى من الرد إلى أسفل سافلين من آمن وعمل صالحاً ولم يزد على ذلك فلم يقل مثل

---

(١) الإستثناء في القرآن الكريم ، حسن طه الحسن ، ص١٣٦ .

(٢) في ظلال القرآن ، ٦١٠/٢٨ .

ما قال في سورة العصر: M - . / 0 L (العصر: من الآية ٣) وذلك لأختلاف الموطنين ، فأن سورة العصر في بيان الخسران الذي يصيب الأنسان ، وسورة التين فيما ينجي من دركات النار ، قال تعالى M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 L (العصر: ١ - ٣) فبين لنا (في سورة التين) إن الأيمان والعمل الصالح يمنعه من الرد اسفل سافلين ، ولكنه لا يمنعه (كما في سورة العصر) من الخسران الذي بفوته لو تواصى بالحق وبالصبر فإن كل من ترك شيئاً من ذلك خسر شيئاً من الأجر الذي كان يربحه فيما لو فعله فأنظر الفرق بين الموطنين وبين الإستثنائين[١] ثم قال M < = > ? L (التين: من الآية٦) أي غير مقطوع أو غير ممنون به عليهم وهو لدفع ما يتوهم من أن التساوي في أرذل العمر يقتضي التساوي في غيره فلا يرد أنه كيف يكون منقطعاً والمؤمنون داخلون في المردودين إلى أرذل العمر غير مخالفين لغيرهم في الحكم.. وحمل غير واحد هؤلاء المؤمنين على الصالحين من الهرمى كأنه قيل لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى لهم ثواب دائم غير منقطع أو غير ممنون به عليهم لصبرهم على ما أبتلوا به من الهرم والشيخوخة المانعين إياهم من النهوض لأداء وظائفهم من العبادة ، أخرج أحمد والبخاري وأبن حبان عن أبي موسى قال: قال رسول الله (إذا مرض العبد أو سافر كتب الله تعالى من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً)[٢] وفي رواية عنه ثم قرأ M < = > ? L [٣]

فقال تعالى (غَيْرُ مَمْنُونٍ) ليجمع هذه المعاني كلها ، ولم يقل غير مقطوع ولا نحو ذلك فيفيد معنى دون آخر .

ثم أنظر كيف زاد الفاء في قوله M < = > ? L ولم يفعل مثل ذلك في آية شبيهة بها وهي قوله تعالى (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) (الانشقاق: ٢٥) بدون فاء وذلك لأن السياقين مختلفان فسياق سورة الأنشقاق أكثره في ذكر الكافرين ، وقد أطال في ذكرهم ووصف عذابهم فقال M Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y L (الانشقاق: ١٠ - ١٥) ثم قال مقرعاً للكافرين مؤنباً لهم M ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À

---

(١) التعبير القرآني ، ص٣٤٤ .

(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ، رقم الحديث ٧٩٩ .

(٣) روح المعاني، ٢٣ / ٣٣ ، وينظر الكشاف ، ٣ / ٣٤٨ .

L Ò Ñ Ð Ï Î Í Ì Ë Ê É È Ç Æ Å Ä Ã Â Á (الانشقاق:٢٠ - ٢٥) في حين لم يزد الكلام على المؤمنين عن قوله M N M L K J L X W V U T S R Q P O (الانشقاق: ٧ - ٩)

فأنظر كيف أطال في وصف الكافرين وأعمالهم وعقابهم وأوجز في الكلام على المؤمنين ولذا حذف الفاء من جزاء المؤمنين في سورة الانشقاق مناسبة للإيجاز في حين لم يذكر الكافرين في سورة التين ولم يزد على أن قال M 2 3 4 5 L (التين:٥) يعني الإنسان[١] .

ثم قال بعدها M A B C D L (التين:٧) ، والمخاطب هنا هو الإنسان على طريقة الألتفات ، أي فما يجعلك كاذباً بسبب الدين وإنكاره بعد هذا الدليل ، والمعنى: أن خلق الإنسان من نطفة ، وتقويمه بشراً سوياً وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوي ، ثم تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر ، لاترى دليلاً أوضح منه على قدرة الخالق ، وأن من قدر من الإنسان على هذا كله لم يعجز من إعادته ، فما سبب تكذيبك أيها الإنسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع[٢] ثم أنظر كيف استدل على الجزاء بالأدلة النقلية والعقلية ، فالدليل النقلي هو ما اخبرت به الرسالات السماوية ، وقد ذكر من هذه الرسالات كبراها وهي رسالات موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام . والدليل العقلي هو الاستدلال بخلق الإنسان في أحسن تقويم وتدريجه في مراتب الزيادة والنقصان .

ثم انظر كيف اختار كلمة (الدين) ولم يختر كلمة الجزاء أو الحساب أو النشور ونحوها ، وذلك لمّا تقدم ذكر مواطن الرسالات ناسب ذلك ذكر الدين لأن هذه أديان ، ولأنه قد يراد بذلك معنى (الدين) علاوة على معنى الجزاء ، فأنت ترى أنه أختار كلمة الدين لتقع في موقعها المناسب لها تماماً ، ثم قال بعدها M F G H I L (التين:٨) وأحكم الحاكمين يحتمل أن يكون معناها :أعظم ذوي الحكمة وأحسنهم تدبيرا ويحتمل أن يكون معناها ، أقضى القاضين ، لأن (حكم) يحتمل أن يكون من الحكمة ويحتمل أن يكون من القضاء وهو الفصل في المحاكم فأنظر قوة ارتباط هذه الآية بما قبلها على كلا الوجهين ، فإن حكمته تقتضي الإعادة والجزاء ، والجزاء والفصل بين اللائق يقتضي وجود قاضي ، بل يقتضي وجود أقضى القاضين فجمع بهذه العبارة : معنيين: القضاء والحكمة بل لقد جمع

---

(١) التعبير القرآني ، ص٣٤٥ .

(٢) الكشاف ، ص١٢١٢ ، وينظر أعراب القرآن الكريم وبيانه ، محي الدين الدرويش ، ٨ / ٣٥٩ ، وفي ظلال القرآن ، ٢٨ / ٦١١ .

معاني عدة بهذا التعبير ، إذ كل لفظ من (أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ) يحتمل أن يكون بمعنى القضاء والحكمة فيكون قد جمع أربعة معانٍ كلها مرادة وهي (أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ) بمعنى (أكثرهم حكمة) و (أقضى الحكماء) و (أقضى القضاة) و (أحكم القضاة) فأنظر كيف جمع أربعة معاني تؤدى بأربع عبارات في عبارة واحدة موجزة ، ولو قال (أقضى القاضين) لدلت على معنى واحد[١] ثم أنظر كيف جعل ذلك بأسلوب الاستفهام التقريري ولم يجعله بالأسلوب الخبري فهو لم يقل (إن الله أحكم الحاكمين) ولا نحو ذلك وإنما قرر المخاطب ليقوله بنفسه في إصدار الحكم فيقول (بلى وأنا على ذلك من الشاهدين) ثم انظر إلى ارتباط خاتمة السورةبفاتحتها فإن فاتحة السورة في ذكر مواطن الرسالات العظمى وارتباطها بخاتمتها واضح بيّن ، فإن الذي أنزل هذه الشرائع العظيمة وما تضمنته من أحكام سامية هو أحكم الحاكمين .

ثم أنظر إلى التنسيق الجميل في اختيار خواتم الآي ، فأن خاتمة كل آية اختيرت لتجمع عدة معان في آن واحد ، فأختيرت (الأمين) لتجمع معنيي الأمن والأمانة ، و (أسفل سافلين) لتجمع معنى أرذل العمر ودركات جهنم السفلى ، و(غير ممنون) لتجمع معنى غير منقطع ولا مُنغص بالمنة عليهم وكلمة (الدين) لتجمع الجزاء والدين ، و(أحكم الحاكمين) لتجمع الحكمة والقضاء[٢] وأخيراً نستشف مما سبق أن الغرض الأساسي في هذه السورة هو إثبات إن الإسلام هو دين الفطرة وإن الأديان الثلاثة أصلها واحد وإن الإسلام هو خاتم الديانات السماوية وناسخ لها وهو دين الفطرة القويمة التي فطر الله الإنسان عليها واستقامة طبيعية مع طبيعة الأيمان ، وإن الأيمان به يوصل الإنسان إلى كماله المقدور له ، وإن تكذيب الإنسان به يهبطه إلى أسفل السافلين[٣] وبهذا ناسبت هذه السورة سورة (الشرح) لأنها كانت في تثبيت النبي على تكذيبه قومه له وأنحرافه عن دينه[٤] فجاءت هذه السورة بعدها في الترتيب التوقيفي للقرآن الكريم .

---

(١) التعبير القرآني ، ص٣٤٦ ،٣٤٧ .

(٢) انفسه، ص٣٤٨ .

(٣) ينظر في ظلال القرآن ، ص٦٠٨ .

(٤) النّظم الفني في القرآن ، عبد المتعال الصعيدي ، ص ٣٥٥ .

المصـــادر والمراجـــع

- الاستثناء في القرآن الكريم ، نوعه ، حكمه ، أعرابه ، حسن طه الحسن ، مطبعة الزهراء الحديثة ، الموصل ، ١٩٩٠.
- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل أبن الأزرق ، الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧١ .
- إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محي الدين الدرويش ، اليمامة للطباعة والنشر ودار أبن كثير ، دمشق ، بيروت ، الطبعة التاسعة ،١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣م .
- الأكليل في استنباط التنزيل ، جلال الدين السيوطي الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، د ، ت .
- التعبير القرآني ، الدكتور فاضل صالح السامرائي ، دار عمار ، عمان – الأردن الطبعة الخامسة ، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م .
- تفسير سور المفصل من القرآن الكريم ، السيد عبد الله كنون ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ١٩٨١م .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي الآلوسي ، المطبعة الميرية ، ١٣٠١هـ .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة السابعة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- مباحث في أعجاز القرآن ، الدكتور مصطفى مسلم ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- مباحث في التفسير الموضوعي ، الدكتور مصطفى مسلم ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الخامسة ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .
- المعاني الثانية في الأسلوب القرآني ، الدكتور فتحي أحمد عامر ، منشأة المعارف بالأسكندرية ، ١٩٧٦ .
- النظم الفني في القرآن ، عبد المتعال الصعيدي ، المطبعة النموذجية د ، ت .